الموضوع: النمط الحجاجي (المفهوم والآليات)، (المقومات والخصائص).

مفهوم الحجاج:

أ_ لغة: ورد في لسان العرب "حجّ: الحجُّ؛ القصد... والحُجّة: البرهان، وقيل الحُجّة: ما دوفع به الخصم... والتّحاج: التخاصم، وجمع الحُجّة: حُجج وحجاج، وحاجه محاجة وحجاجا: نازع الحجة، وحجه يحجه حجا: غلبه على حجته وفي الحديث: فحجّ آدم موسى؛ أي غلبه بالحجة، واحتجّ بالشيء: اتّخذه حجة، قال الأزهري: إنما سميت حجة لأنّها تحج؛ أي تُقصد، لأنّ القصد لها وإليها ... والحجة: الدليل والبرهان، يقال حاجيته فأنا محاج وحجيج على وزن فعيل بمعنى فاعل.[i]

اصطلاحا: قال عنه أبو هلال العسكري: "هذا الجنس كثير في كلام القدماء والمحدثين... وهو أن تأتي بمعنى ثم تؤكده بمعنى آخر يجري مجرى الاستشهاد على الأول والحجة على صحته".[ii]

كما عرّفه محفوظ كحوال بقوله: "أسلوب تواصلي يعتمد أساسا على تقديم الحجج والبراهين قصد إقناع الطرف الآخر (المستمع، المخاطب، القارئ) ... حول إشكالية ما".[iii]

فالحجاج عملية اتصالية دعامتها الحجة المنطقية لإقناع الآخرين والتأثير فيهم، والمحرك لهذه الوظيفة هو الاختلاف بين المخاطبين فلا يكون الحجاج فيما هو يقيني أو إلزامي.

هو أسلوب تواصلي يرمي إلى اثبات قضية، أو الإقناع بفكرة أو إيصال رأي، أو السعي إلى تعديل وجهة نظر من خلال الأدلة والشواهد وبالتالي "فهو الطريقة التقنية في إعداد نص برهاني واخراجه بغية تحقيق غاية المرسل منه"[4] فيبرهن الكاتب قضيته ثم يطرح الطرح المعاكس وينفذه ويبطل حججه معتمدا على الأمثلة والشواهد ليخلص إلى بيان صحة رأيه، أو يطرح الكاتب قضيته وحججه دون عرض الآراء المخالفة ليترك للقارئ استنتاج عدم صحة الآراء المعارضة[1]، والواضح من التعريف أن الحجاج يهدف إلى إقحام الخصم وإقناعه بمشروعية وصلاحية الموقف فهو يبحث دائما لأخذ قبول وموافقة المتلقي، أما مجالاته فهي مختلف الأنواع الأدبية، وبخاصة المقالات والخطب والمحاضرات والمناظرات والندوات، وافتتاحيات الصحف والمجلات، وكتب الفلسفة والرياضيات.[2] ومن ثم تذهب التداولية الحجاجية إلى أن النص أو الخطاب عبارة عن روابط لغوية حجاجية وخير من يمثل هذه المقاربة الحجاجية أوروالد دوكرو(Ducrot) الذي أدخل البعد التداولي ضمن الوصف اللساني باعتباره أحد مكوناته الرئيسية إلى جانب التركيب والدلالة[3].

وهكذا فالنص الحجاجي هو ذلك النص الذي يستعمل مجموعة من الآليات والروابط الحجاجية للتأثير والاقناع، مثل: أسلوب التعريف، أسلوب التمثيل، وأسلوب الشرط وأسلوب الاستدراك، وأسلوب المقارنة وأسلوب التقابل، وأسلوب التضمن، إلى جانب التضاد، والتناقض والإثبات، والنفي، والفصل، والوصل والاستشهاد.[4]

ويعد النص الحجاجي نوعا مهما من النصوص التي وصلت الدراسات بشأنه إلى نتائج مهمة جدا، وتعد الأبحاث حول هذا النوع من النصوص امتدادا للموروث البلاغي فهو حقل دراسي جديد تم استثماره في دراسة النصوص الأجنبية[5]، إذاً هدف الحجاج الأول والأخير هو جعل الخصم يتقبل الرأي ويقتنع به.

أنواع النمط الحجاجي:

النمط الحجاجي ثلاثة أنواع: نمط حجاجي إقناعي، ونمط حجاجي دحضي، ونمط حجاجي مقارن.

أولا–النمط الحجاجي الإقناعي: وهدف المتكلم نحو المخاطب التأثير فيه، وإقناعه بالرأي الذي يدافع عنه مثلا: كأن يقنع المتكلم المخاطب بخطر التدخين، فيأتي له بالأدلة والبراهين كالأموال التي يبذرها من أجل علبة سجارة والأمراض التي تنجم عن التدخين وعلى رأس هذه الأمراض سرطان الرئة، وبالتالي يسعى المتكلم إلى إقناع المخاطب بفكرة ما يجعله يتحمس لها، ويلتف حولها ويجد ذلك في الخطب والقصائد الحماسية[1]، إذا الهدف الأول والأخير من هذا النوع الإقناع والتأثير في المخاطب حتى يجعله يعمل بالنصيحة ويمتثل لها.

ثانيا–النمط الحجاجي الدحضي: في هذا النوع من الحجاج تكون الغاية منه إبطال الرأي الآخر والانتصار للرأي الشخصي، نحو محاججة السيف والقلم؛ حيث قال القلم للسيف: فررت من الشريعة وعدلها، وعولت على الطبيعة وجهلها، فافتخرت بحيفك وعدوانك.... فملت إلى الظلم الذي هو إليك أقرب وغلب عليك طبعك في الجور...، أما أنا (القلم) فالحق مذهبي والصدق مركبي والعدل شيمتي وحلية الفضل زينتي، إن حكمت أقسطت وإن استحفظت حفظت وما فرطت، ولا أفشي سرا يريد صاحبه كتمه، ولا أكتم علما[2].

ويعرف النمط الدحضي على أنّه يبطل ويكسر أحد الطرفين المتحاججين حجج الآخر وادعاءاته، وقد نجد هذا النوع الحجاجي خصوصا في شعر النقائض[3]، أي يركز فيه المتكلم على إبطال رأي الخصم من خلال الذم والقدح، ومدح آراء المتكلم ومجالاته نجدها خاصة في أدب المناظرات.

ثالثا– النمط الحجاجي المقارن: وهذا الأسلوب يكون في وضع مقابلة بين رأيين غير متضادين، يهدف إلى إبراز عناصر مشتركة والعناصر المختلف حولها، كالمقارنة بين أحكام التمييز والحال فنجد بينهما اختلافا يتجلى في أن التمييز اسم جامد غالبا أما الحال فهي مشتقة في الغالب كذلك، والتمييز يأتي مفردا فقط أما الحال تأتي مفردة وجملة وشبه جملة، والتمييز لا يجوز أن يتعدد، أما الحال فتتعدد من دون عطف، والتمييز لا يجوز تقديمه أما الحال فالعكس من ذلك، والتمييز يبين الذوات والجمل ويزيل الابهام أما الحال فتبين الهيئات، هذا جانب الاختلاف فنأتي إلى جانب التشابه فنجد أن التمييز والحال منصوبان، فضلتان، نكرتان، وكلاهما يرفع الابهام. إذا الحجاج المقارن يميز بين رأيين فكل واحد له دلالته وحجته، لأنه يخضع للمقابلة، بعد إبراز العناصر المشتركة والمتباينة ونجد هذا النوع خاصة في الدراسات النقدية المقارنة.

---

[i]: ابن منظور، لسان العرب، مج 1، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، 2000م، ص37_38.

[ii]: أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1989، ص39.

[iii]: محفوظ كحوال، أنماط النصوص النظرية والتطبيق، نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، 2007م، ص188.

[2] حداد إدريس، مطوية الأنماط النصية، ص3.

[5] المرجع نفسه، ص3.

[2] جورج مارون، تقنيات التعبير وأنماطه بالنصوص الموجهة، المؤسسة الحديثة للكتاب، ص 235.

[3] جميل الحمداوي، محاضرات في لسانيات النص، الطبعة 1، 2015، ص167، الألوكة.www.alukh.net

[4] المرجع نفسه، ن، ص.

[5] الحواس مسعودي، البنية الحجاجية في القرآن الكريم "سورة النحل نموذجا" مجلة العرب اللغة والادب، ع12، ص329.

[1] محفوظ كحوال، أنماط النصوص، النظرية والتطبيق، الناشر نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، سنة 2007، ص189.

[2] اللغة العربية وآدابها، س 3 من التعليم الثانوي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية O.N.P.S

[3] محفوظ كحوال، المرجع السابق، ص 190.